الإجراءات الصارمة

وتساءل السائلون عن الإجراءات الصارمة التي اتّخذتها حكومة أبي بكر ضدّ العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم ، فقد وقع الكلام في بعضها فأنكرها قوم وآمن بها آخرون .

ونحن نؤمن إيماناً لا يخامره شكّ أنّ ما جرى على زهراء الرسول سيّدة نساء العالمين صحيح وواقع ، فإنّ القوم قد هاموا وراء الملك ، وعلى حدّ تعبير الأستاذ عبدالفتاح مقصود أنّ القوم قد رجعت لهم جاهليّتهم الأُولى ، فاقترفوا ضدّهم كلّ ما حرّم الله من انتهاك حرمتهم ، والتي منها :

١ ـ الهجوم على دار الإمام عليه السلام

وأجمع المؤرّخون والرواة على هجوم القوم على دار الإمام عليه السلام التي هي موضع تقديس النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأنّه كان يقف ستّة أشهر على بابها ويتلو الآية المباركة : **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[1] .

وكان الهجوم مصحوباً بما يلي :

التهديد بإحراق دار فاطمة عليها السلام

أمّا التهديد بإحراق دار الإمام عليه السلام فقد تسالم عليه الرواة والمؤرّخون ، وهذه بعض رواياتهم :

البلاذري (٢٧٩هـ)

ذكر البلاذري أنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ عليه السلام يريد بيعته ، فلم يبايع ، فجاء عمر ومعه فتيلة فتلقّته فاطمة عليها السلام على الباب ، فقالت له : **أَتَرَاكَ مُحْرِقاً عَلَيَّ بابِي ؟**

---

(١) الأحزاب ٣٣ : ٣٣ . مجمع الزوائد : ٩ : ١٦٩ . أنساب الأشراف : ١ : ١٥٧ .

قال : نعم ، وذلك أقوى ممّا جاء به أبوك[١].

الطبري (٣١٠هـ)

ذكر الطبري بسنده قال : أتى عمر بن الخطّاب منزل عليّ عليه السلام ، وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال : « والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة » ، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف ، فعثر فسقط السيف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه[٢].

ابن عبدربّه (٣٢٨هـ)

قال ابن عبدربّه : الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر عليّ والعبّاس والزبير وسعد بن عبادة ، فأمّا عليّ والعبّاس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة عليها السلام حتّى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجوا من بيت فاطمة عليها السلام وقال له : إن أبوا فقاتلهم .

فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار ، فلقيته فاطمة فقالت : **يابْنَ الْخَطَّابِ ، أَجِئْتَ لِتُحْرِقَ دارَنا ؟**

قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة[٣].

المسعودي (٣٤٦هـ)

ذكر المسعودي أنّ العبّاس صار إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأقام أمير المؤمنين ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فتوجّهوا إلى منزله فهجموا عليه ، وأحرقوا بابه ، واستخرجوه منه كُرهاً ، وضغطوا سيّدة النساء بالباب[٤].

---

(١) أنساب الأشراف : ١ : ٥٨٦ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٣ : ١٩٨ .

(٣) العقد الفريد : ٥ : ١٢ .

(٤) إثبات الوصيّة : ١٢٣ .

إنّ إقدام القوم على حرق بيت الزهراء ﷺ لا مجال للشكّ فيه .

الشهرستاني (٥٤٨هـ)

نقل الشهرستاني عن النظام أنّ عمر كان يصيح : احرقوا دارها ـ أي الزهراء ﷺ ـ بمن فيها ، وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ[١] .

ابن أبي الحديد (٦٥٥هـ)

قال ابن أبي الحديد : جاء عمر إلى بيت فاطمة ﷺ في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين فقال : « والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ الدار عليكم »[٢] .

كحّالة

قال عمر رضا كحّالة : تفقّد أبو بكر قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ بن أبي طالب ، كالعباس والزبير وسعد بن عبادة ، فقعدوا في بيت فاطمة ﷺ ، فبعث أبو بكر عمر بن الخطّاب ، فجاءهم عمر فناداهم وهم في دار فاطمة ﷺ ، فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالحطب وقال : والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها .

فقيل له : يا أبا حفص ، إنّ فيها فاطمة .

قال : وإنْ[٣] .

يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم :

وَقَــوْلَةٍ لِــعَليٍّ قــالَها عُــمَرٌ   أَكْــرِمْ بســامِعِها أَعْظِمْ بِـمُلْقِيها

---

(١) الملل والنحل : ١ : ٥٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١ : ١٢٤ .

(٣) أعلام النساء : ٤ : ١١٤ .

حَرَّقْتُ دارَكَ لا أُبْقِي عَلَيْكَ بِـها ۝ إنْ لَمْ تُبايِعْ وَبِنْتُ الْمُصْطَفَى فِيها

ما كانَ غَـيرُ أَبِـي حَـفْصٍ بِـقائِلِها ۝ أَمامَ فـارِسِ عَـدْنانٍ وَحـامِيها[1]

لقد ثار القوم بعنف وقسوة لا حدود لها في سبيل توطيد الملك لهم، وقد تناسوا عظم هذا البيت الذي اقتحموه، وأنّه بيت الوحي والنبوّة، والبيت الذي ارتفعت منه كلمة التوحيد، كلّ ذلك لم يحفلوا به، وقد انطلقت شعاراتهم ضدّ الأُسرة النبوية بعد وفاة المحرّر الأعظم الرسول ﷺ، فقد رفع عمر عقيرته قائلاً: لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد.

فقد أقدم القوم على حرق دار وديعة رسول الله ﷺ من أجل المُلك والسلطان، وهذا أمر غير مستبعد يلمس له المؤيّدات والشواهد من عشّاق المُلك الذين يسحقون كلّ شيء في سبيله، ويدلّ على ذلك بوضوح ما يلي:

ندم أبي بكر

وندم أبو بكر أشدّ ما يكون الندم على ما اقترفه من الهجوم على دار سيّدة نساء العالمين، فقد قال في مرضه الذي توفّي فيه: «إنّي لا آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهنّ، وددت أنّي تركتهنّ»، وكان من هذه الثلاثة قوله:

«فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء»[2].

وقال مرّة أُخرى: «إنّي لا آسى على شيء إلّا على ثلاث: وددت أنّي لم أفعلهنّ: وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وتركته، وإن أُغلق على الحرب»[3].

لقد كانت نفسه غير آمنة ولا مطمئنّة بما أقدم عليه من الهجوم على دار بضعة

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم: ١: ٧٥.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٢: ٦١٩. ميزان الاعتدال: ٢: ٢١٥. كنز العرفان: ٥: ٦٣١.

(٣) لسان الميزان: ٤: ١٨٩.

الرسول ﷺ ، فقد ظلّ ذلك يراوده بأسى وحزن في اللحظات الأخيرة من حياته .

٢ـ الاعتداء على الزهراء عليها السلام

والشيء المحقّق أنّ القوم قد اعتدوا على الزهراء سلام الله عليها لأنّها وقفت موقفاً حاسماً ضدّهم ، فقد جهدت على إفساد مخطّطاتهم ، وإرجاع الحقّ إلى معدنه ؛ لأنّها كانت تتمتّع بحصانة ذاتيّة ، فهي بقيّة النبوّة ، وسيّدة نساء العالمين ، إلّا أنّ القوم لم يحفلوا بذلك ، وأصرّوا على تنفيذ سياستهم مهما كلّفهم الأمر ، وابتعدوا عن الحقّ .

وعلى أيّ حال فهذه صور مؤلمة تحزّ في نفس كلّ مسلم قد جرت على سيّدة نساء العالمين عليها السلام وهي :

إسقاط الجنين

ومن جرّاء الاعتداء الصارخ على بضعة الرسول عليها السلام أنّها أسقطت جنينها الذي سمّاه رسول الله ﷺ بالمحسن ، ونحن نذكر عرضاً موجزاً لبعض النصوص التاريخية من دون أن نعلّق عليها :

ابن قتيبة (٢٧٦هـ)

قال ابن قتيبة : إنّ محسناً فسد من زخم ـ أي دفع ـ قنفذ العدوي[١] .

الطبري (٣١٠هـ)

قال الطبري : وكان سبب وفاتها ـ أي سيّدة النساء ـ أنّ قنفذ مولى الرجل لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً ، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً[٢] .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ١٣٣ .

(٢) دلائل الإمامة : ١٣٤ ، ورواه عنه في بحار الأنوار : ٤٣ : ١٧٠ .

المسعودي (٣٤٦هـ)

قال المسعودي: وضغطوا سيّدة النساء بالباب حتّى أسقطت محسناً[1].

الشهرستاني (٥٤٨هـ)

روى الشهرستاني عن إبراهيم بن سيّار، أنّ عمر ضرب فاطمة حتّى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: «احرقوا دارها بمن فيها»[2].

الطبرسي (٥٦٠هـ)

روى الطبرسي احتجاج الإمام الحسن عليه السلام على عصابة من أعداء آل البيت عليهم السلام كان من بينهم المغيرة بن شعبة، فخاطبه الإمام قائلاً: «**وَأَمّا أَنْتَ يا مُغِيرَةُ، فَإِنَّكَ لِلّهِ عَدُوٌّ، وَلِكِتابِهِ نابِذٌ، وَلِنَبِيِّهِ مُكَذِّبٌ، وَأَنْتَ الزّانِي، وَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ الرَّجْمُ، وَأَنْتَ الَّذِي ضَرَبْتَ فاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّىٰ أَدْمَيْتَها، وَأَلْقَتْ ما فِي بَطْنِها، اسْتِذْلالاً مِنْكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمُخالَفَةً مِنْكَ لِأَمْرِهِ، وَانْتِهاكاً لِحُرْمَتِهِ، وَقَدْ قالَ لَها رَسُولُ اللهِ ﷺ: يا فاطِمَةُ، أَنْتِ سَيِّدَةُ نِساءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.**

واللهُ مُصَيِّرُكَ إِلَى النّارِ، وَجاعِلٌ وَبالَ ما نَطَقْتَ بِهِ عَلَيْكَ»[3].

الذهبي (٧٤٨هـ)

روى الذهبي بسنده عن محمّد بن أحمد بن حمّاد الكوفي... قال: حضرته ورجل يقرأ عليه إنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن[4].

---

(١) إثبات الوصيّة: ١٤٣.

(٢) الملل والنحل: ١: ٥٧.

(٣) الاحتجاج: ١: ٤٠١.

(٤) ميزان الاعتدال: ١: ١٣٩.

الصفدي (٧٦٤هـ)

ذكر الصفدي ما نصّه : إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت المحسن[(١)].

ابن حجر (٨٥٢هـ)

قال ابن حجر العسقلاني في ترجمة أحمد بن محمّد بن السري بن يحيى بن دارم المحدّث أبو بكر الكوفي ، قال محمّد بن أحمد الكوفي الحافظ بعد أن أرّخ موته : كان مستقيم الأمر عامّة دهره ، ثمّ في آخر أيّامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب ، حضرته ورجل يقرأ عليه : إنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن[(٢)].

المجلسي (١١١١هـ)

روى الشيخ المجلسي عن إرشاد القلوب عن سيّدة النساء سلام الله عليها أنّها قالت : «**فَأَخَذَ عُمَرُ السَّوْطَ مِنْ يَدِ قُنْفُذٍ ـ مَوْلىٰ أَبِي بَكْرٍ ـ فَضَرَبَ بِهِ عَضُدِي ، فَالْتَوَى السَّوْطُ عَلىٰ عَضُدِي حَتّىٰ صارَ كَالدُّمْلَجِ ، وَرَكَلَ الْبابَ بِرِجْلِهِ فَرَدَّهُ عَلَيَّ وَأَنا حامِلٌ فَسَقَطْتُ لِوَجْهِي ، وَالنّارُ تَسْعَرُ وَتَسْفَعُ وَجْهِي ، فَضَرَبَنِي بِيَدِهِ حَتّىٰ انْتَثَرَ قُرْطِي مِنْ أُذُنِي ، وَجاءَنِي الْمَخاضُ فَأَسْقَطْتُ مُحْسِناً قَتِيلاً بِغَيْرِ جُرْمٍ**»[(٣)].

هذه بعض المصادر التي دوّنت الاعتداء على سيّدة النساء وإسقاطها للمحسن ، وقد آمنت الشيعة بذلك ، وأُثرت عن أئمّة الهدى عليهم السلام كوكبة من الأحاديث في ذلك .

وعلى أي حال ، فإنّ هذه الأحداث المؤسفة التي جرت من القوم تنمّ عن تهالكهم على السلطة واندفاعهم نحو المُلك .

---

(١) الوافي بالوفيات : ٥ : ٣٤٧.

(٢) لسان الميزان : ١ : ٢٦٨.

(٣) بحار الأنوار : ٣٠ : ٣٤٨ و ٣٤٩.

حیاه فاطمه الزهراء علیها السلام (باقر شریف القرشی)